

للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى (ت ١٢٠٦ هـ)

(للأطفال والأعاجم والمبتدئين)

مع تعليق مختصر مفيد

تلخيص وتعليق

أبي عبد الله المصنعي

أصلحه الله تعالى وسدده

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيبـًا مباركـًا فيه، ملء السماء وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطىٰ، لا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجَد.

وأشهد أن لا إله إلا الله حده لا شريك له، المتفرد بالربوبية الموصوف بكمال الصفات العلية، المخصوص بالألوهية.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلىٰ رب البرية، والسبل السويَّة، صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فهذا ملخص ميسر مفيد مقرب للبعيد، وجامع للشريد، من فوائد كتاب التوحيد، مناسب للصغير، والأعجمي والعامي، لسهولة مأخذه، وسلاسة عبارته، وقُرب فائدته، اقتصرت فيه علىٰ الترجمة وحديث الباب والمناسبة بينهما، مع مهمات الفوائد التي لأجلها، وضعت الترجمة وأدلتها ونحو ذلك مع تفسير الألفاظ الغريبة ومع اجتناب التكرار،.

والله ولي التوفيق والسداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتبه / أبو عبد الله المصنعي وفقه الله تعالى

عام ١٤٣٤هـ دار الحديث – معبر

١- كِتابُ التَّوْحِيدِ

وَقَوْل الله تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦].

عَنْ مُعَاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حِمَارٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »، (خ ٢٨٥٦)، (م ٣٠).

رديف: خلفه.

التعليق

١- ابتدأ المصنف كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ومعناها: أستعين بالله ذي الرحمة الواسعة.

٢- هذه الترجمة (باب حق الله علىٰ العباد...) تدل علىٰ مقصود الكتاب كله، وأنه ألَّفه لأجل بيان حق الله تعالىٰ وهو توحيده وإفراده بالعبادة والإخلاص له.

٣- التوحيد هو: إفراد الله تعالىٰ بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الربوبية: إفراد الله تعالىٰ في أفعاله، كالخلق والملك والتدبير.

والألوهية: إفراد الله تعالىٰ في العبادة والإخلاص له.

والأسماء والصفات: إفراد الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، فلا مثيل له ولا نظير.

٤- والمناسبة بين الترجمة والأدلة ظاهرة في أن حق الله تعالىٰ الذي لأجله خلق الخلق هو عبادته وحده وتعظيمه، وتنزيهه عن الندِّ والشريك، فالشريك غير مقبول قَلَّ أو كثر بأيِّ نوعٍ كان.

٥- اتفقت الرسل والأنبياء علىٰ الاهتمام بالتوحيد والدعوة إليه والذب عنه.

فشَمَّر عن ساعد الجِد واجتهد في تعلُّم التوحيد ومعرفة دقائقه ونشره، فإن التوحيد أعظم الحسنات، وأجلُّ الطاعات، وآكد العبادات، وأوجب الواجبات، فلا نجاة إلا به.



٢- بابُ فَضل التوحيدِ وما يُكفِّرُ منَ الذُّنوبِ

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٢].

والظلم هنا: الشرك.

عن عتبانَ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ النَّارَ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»، (خ ٤٢٥)، (م ٣٣).

التعليق

١- هذا الباب في بيان فضل التوحيد، وأن من مات عليه كفَّر الله عنه من سيئاته بقدر توحيده وإخلاصه، فكلما كان العبد أعظم توحيداً كان أتم هداية وأكمل أمنًا وأوسع تكفيراً لذنوبه، وفضائل التوحيد كثيرة.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن التوحيد وهو (لا إله إلا الله) ولوازمها سبب في الوقاية من النار، والأمن من عذاب الله تعالىٰ.

٣- معنىٰ (لا إله إلا الله): لا معبود بحقٍّ إلا الله تعالىٰ .

ولها ركنان وشروط ستأتي.

٤- كلما كان العبد مقصراً في التوحيد، أو في لوازمه وتوابعه كان معرَّضًا للعذاب

بقدر ذلك، فإذا داخل توحيدَه الشركُ الأكبر استحق العذاب الخالد في النار.

٣- بابُ مَن حقَّقَ التوحيدَ دخلَ الجنَّةَ بغير حِسابٍ

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [سورة المؤمنون:٥٩].

وعن ابنِ عَبّاسٍ رضي اللهُ عنهما عَنِ النَّبِيِّ -صلىٰ الله عليه وسلم- قَالَ « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِىٰ سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِى فَقِيلَ لِىٰ هَذَا مُوسَىٰ -صلىٰ الله عليه وسلم- وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِىٰ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ الآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِىٰ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِىٰ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ ... هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، (خ ٥٧٥٢)، (م ٢٢٠).

(عُرِضت علي) أي: ليلة المعراج.(الرهط) ما بين الثلاثة إلىٰ العشرة.

(لا يسترقون) لا يطلبون الرقية. (ولا يتطيرون) لا يتشاءموا.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن فضائل التوحيد في حق من حقق التوحيد تامة ومنها دخول الجنة بغير حساب، وتحقيق التوحيد: تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والذنوب والمعاصي، فالشرك ينافي التوحيد، والبدع تقدح فيه،

والمعاصي تكدر التوحيد وتمنع كماله.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** وصف المؤمنين بأنهم لا يشركون ولا يقعون في وسائل الشرك كالطيرة، ولا فيما هو أقل من ذلك كالاسترقاء ونحوه لكمال توكلهم وتوحيدهم.

٣- من مات علىٰ التوحيد وقد لابس البدع والمعاصي فهو إلىٰ الله تعالىٰ، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه، ثم مآله إلىٰ الجنة، كما سيأتي دليله في الباب الآتي.



٤- بابُ الخوفِ منَ الشِّركِ

وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»، (م ٩٣).

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن من عرف التوحيد وحقَّقَه ينبغي له أن يخاف من الشرك الذي يحبط التوحيد ويفسد ثمرته وفضله، ولازم ذلك معرفة حدود الشرك ودقائقه وفروعه حتىٰ لا يقع فيه.

٢- **الشرك، قسمان:** أكبر وأصغر.

فالشرك الأكبر: كل قول أو عمل أو اعتقاد جاء في الشرع وصفه بالشرك مطلقًا وكان مخرجًا من الملة.

والأصغر: كل قول أو عمل جاء في الشرع وصفه بالشرك وكان غير مخرجًا من الملة.

٣- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن الشرك لا يُغفر، وصاحبه في النار، وهذا أمر

مخيف يوجب الحذر والتحذير منه.

٤- الشرك أعظم الذنوب وأظلم الظلم، وأقبح السيئات، وأكبر الكبائر، ولذلك كانت سيئة الشرك لا تمحوها حسنة لمن مات عليه.



٥- بابُ الدُّعاءِ إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللّهُ

وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلىٰ الله عليه وسلم- لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِيْ يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ». (خ ١٤٩٦)، (م ١٩).

(أهل كتاب) اليهود والنصارىٰ.

(كرائم أموالهم) أحسنه وأعلاه، أي: خذ من متوسطه.

التعليق

١- هذا الباب فيه أن من عرف التوحيد والشرك فحقق التوحيد واجتنب الشرك لا يقتصر علىٰ نفسه، بل يدعو غيره، فإنه لا يتم التوحيد إلا بالدعوة إليه ونشره، ورأس التوحيد (لا إله إلا الله)، وعلىٰ هذا سار جميع الرسل والأنبياء والصادقون من أتباعهم.

٢- وجوب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ كل مسلم بقدر استطاعته وعلمه، والإخلاص لله تعالىٰ في ذلك، فقوله: ﴿سَبِيلِيٓ﴾ فيه اتباع السنة، وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيه الإخلاص، هذه الدعوة الصادقة.

٣- **مناسبة الأدلة للترجمة** ظاهرة في الحث علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد والابتداء به قبل غيره ثم الدعوة إلىٰ مكملات التوحيد وأركان الإسلام والإيمان ...

٤- الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ لا تكون تامة إلا إذا قام بها أهل البصائر والعلم، ورأس العلوم علم التوحيد، فاجتهد في طلبه ونشره.

٥- الحكمة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والبداءة بالأهم فالأهم.



٦- بابُ تفسِيرِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللّهُ

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٢٦-٢٧].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ عز وجل»، (م ٢٣).

التعليق

١- هذا الباب فيه تفسير التوحيد، وأنه إفراد الله تعالىٰ بالعبادة والبراءة من كل معبود سواه، فلا يكون العبد موحداً إلا بذلك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن فيها تفسير التوحيد علىٰ ما قدمنا.

٣- شهادة أن لا إله إلا الله لها ركنان: ١- النفي. ٢- الإثبات.

فالنفي في (لا إله) ومعناه: نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ والبراءة من الشرك وأهله.

والإثبات في (إلا الله) ومعناه: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له والولاء لله وحده.

٤- وشروط (لا إله إلا الله) ثمانية، سبق شرحها في القول المفيد.

وهي: العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول

لها، والثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله تعالىٰ والبراءة منه ومن أهله.

٥- هذا الباب ردٌّ علىٰ من يدَّعي الإسلام وهو مقيم علىٰ الشرك كعُبَّاد القبور والأولياء والمشاهد ونحوهم، وردٌّ علىٰ من يدَّعي الإسلام ويعتنق مذاهب إلحادية أو كفرية كالعلمانية والحداثة والديمقراطية والاشتراكية ونحوها، فهؤلاء حقيقة من الخارجين عن التوحيد المفارقين لملة الإسلام.



٧- بابٌ من الشرك لبسُ الحَلَقةِ والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه

وقول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [سورة الزمر:٣٨].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فقدْ أَشْركَ»، رواه أحمد (١٦٩٦٩)، وصححه الألباني.

(تميمة) خرز تُعلَّق لاتقاء العين كانوا يعتقدون أن تعليقها يتم الدواء فأبطله الإسلام، إذ لا دافع إلا الله تعالىٰ .

التعليق

١- هذا الباب فيه تفصيل بعض أنواع الشرك المناقض للتوحيد، ومنه لبس هذه الحروز والحلقة ونحو ذلك، لأن فيها تعلق القلب بغير الله تعالىٰ، فإن اعتقد أن هذه الحروز تدفع البلاء قبل وقوعه أو ترفع البلاء بعد وقوعه بنفسها من دون الله أو مع الله تعالىٰ ، فهذا هو الشرك الأكبر وهو شرك في الربوبية، فلا دافع إلا الله تعالىٰ وحده، وشرك في الألوهية، لأن قلبه تعلق بها رجاءً فيها.

ومن اعتقدها سببـًا فهذه خرافة فليست سببـًا شرعـًا ولا قدراً، ففِعْله محرم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن كل ما تعلق العبد به من دون الله تعالىٰ لا يكشف الضر ولا يجلب النفع، بل ذلك من الشرك، ومن ذلك التمائم ونحوها.

٣- إذا كان تعلق القلب بمثل هذه شرك، فتعلقه بما هو دون ذلك شرك من باب أولىٰ، وهكذا تعلقه بكل ما ينافي التوحيد كالتعلق بالأموات.



٨- بابُ ما جاءَ في الرُّقَى والتَّمائمِ

عَنْ ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلَّىٰ الله عليه وسلم يقولُ: " إنَّ الرُّقَىٰ والتَمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ " رواه أبو داود (٣٨٨٣).

(وتر) جلد.

والتمائم شيء يُعلق علىٰ الأولاد – أو غيرهم – من العين.

والرقىٰ: هي التي تسمىٰ العزائم وخص منه الدليل ما خلا الشرك.

التعليق

١- في هذا الباب بيان حكم الرقىٰ والتمائم، وقد سبق الكلام علىٰ التمائم.

فأما الرقىٰ فإذا اشتملت علىٰ شرك أو مخالفة فهي محرمة، وقد تكون شركًا حسب ما يقوم بقلب الراقي والمرقي أو لفظه، كالاستغاثة بالشيطان أو الأموات ... أو يعتقد أن الشفاء بالرقية من دون الله تعالىٰ ، فهذا هو الشرك الأكبر.

والقسم الثاني من الرقىٰ: الجائز والمشروع، وهو ما تحققت فيه ثلاثة شروط:

١) أن تكون بما يفهم لغة، سواء كان باللغة العربية أو غيرها.

٢) أن يعتقد أنها سبب وأن الشفاء بيد الله تعالىٰ.

٣) أن تكون الرقية بالقرآن والسنة أو ما يوافق ذلك.

٢- تعليق التمائم من القرآن والسنة مخالف للصواب وذريعة للشرك.

٣- تغيير المنكر لا سيما الشرك واجب حسب الاستطاعة.

٤- **المناسبة بين الأدلة والترجمة:** النهي عن تعليق الأوتار والتمائم والرقىٰ الشركية ونحوها، لاعتقادهم أنها تدفع العين، وأن ذلك من الشرك، وفيه النهي عن جميع ذرائع الشرك.



٩- بابُ مَن تبرَّكَ بشَجرٍ أو حَجرٍ ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النجم:١٩].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، رواه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني والوادعي.

(حدثاء عهد) قريب زمن إسلامهم.

(ينوطون) يعلقون.

(ذات أنواط) ذات معاليق.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن من تبرك بشجر أو حجر أو قبر أو مشهد أو ولي أو عين ونحو ذلك، فإن هذا من الشرك، فإن اعتقد أنها مصدر للبركة فهذا شرك أكبر، وإن جعلها سببًا فهذا من الخرافات، وجعلها بعضهم شركًا أصغر

لكونها ليست سببًا شرعيًا ولا كونيًا.

ولا يدخل في ذلك ما جعل الله تعالىٰ فيه البركة وطلبت بركته بالطرق الشرعية، كبركة الكعبة بالتعبد لله تعالىٰ بالطواف بها واستلام ركنيها، ونحو ذلك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية الإنكار علىٰ المشركين المتبركين بهذه الأصنام، فإنها لا تجلب نفعًا ولا بركة، ولا تدفع ضراً ولا ترفعه، وهكذا الشجرة ذات أنواط كذلك، فلما طلب البعض شجرة للتبرك بتعليق السلاح للنصر أنكر عليهم وبَيَّن أن هذا شرك.

٣- فيه ضرر الجهل، وأنه قد يؤدي إلىٰ الشرك وضرر تقليد أعداء الإسلام، وأن ذلك من ذرائع الشرك.



١٠- بابُ ما جاءَ فِي الذَّبح لِغير اللّهِ

وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ ﴿١٦٣﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر:٢].

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رسول الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ...»، (م ١٩٧٨).

(نسكي) ذبحي وعبادتي.

(وانحر) اذبح وانحر، والنحر للإبل، والذبح لما دونه.

التعليق

١- هذا الباب في ذِكْر الوعيد علىٰ من ذبح لغير الله تعالىٰ، وأن فاعله مشرك خارج من الملة، لأنه صرف العبادة لغير الله تعالىٰ وهي الذبح، والقاعدة المشهورة: (كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالىٰ شركٌ أكبر)، سواء ذبح لنبي أو ولي أو قبر أو جن أو حجر وشجر أو نحو ذلك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أنها دلت علىٰ أن الذبح عبادة لله تعالىٰ وقرنه بالصلاة، فالذبح لغير الله تعالىٰ كالصلاة لغيره، ولذلك لعن فاعله وحُكِم عليه

بالشرك الأكبر.

٣- من ذبح لغير الله تعالىٰ لا ينفعه ذكر اسم الله تعالىٰ عليها، فقد أهلَّها لغير الله تعالىٰ ووقع في الشرك الأكبر.



١١- لا يُذبحُ للهِ بمَكان يُذبحُ فيهِ لغيرِ اللهِ

وقول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة:١٠٨].

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فسأل النبي ﷺ «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ : «أَوْفِ بِنَذْرِك، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»، رواه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه الألباني والوادعي.

(بِبُوانة) مكان وراء ينبع قريب الساحل.

التعليق

١- هذا الباب فيه النهي عن الذبح في مكان عُرِف بالشرك أو البدعة، لأن ذلك مشابهة للمشركين وذريعة للشرك بإحياء المحل الشركي وتعظيمه، فجاء النهي عن ذلك سداً للذرائع وحسماً لمادة الشرك، ومشابهةِ أهله، وقطع أسبابه، وهذا عام في جميع ذرائع الشرك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية النهي عن الصلاة في مسجد الضرار، لأن المنافقين بنوه ليكون ملجأً لهم، فالصلاة فيه فيها تزكية لهم وذريعة لباطلهم، فنهاه الله تعالىٰ عنه وأمره بهدمه، وهذا عام في النهي عن القيام في

مواطن المعاصي والشرك والبدع.

وأما الحديث فمطابقته للترجمة ظاهره حيث لم يُجِز له الوفاء بنذره إلا بعد التأكد من أن تلك المواطن خالية من الشرك ومظاهره.

٣- النهي عن التشبه بالكفار عمومًا، فالموافقة في الظاهر تجر إلىٰ الموافقة في الباطن.



١٢- بابٌ منَ الشِّركِ النذرُ لغيرِ اللّهِ

وقول الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [سورة الإنسان:٧].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»، (خ ٦٣٢٢).

التعليق

١- هذا الباب فيه أن النذر عبادة وصرفه لغير الله تعالىٰ شرك أكبر، سواء كان هذا الغير صالحـًا أو فاجراً أو حيوانـًا أو جماداً، حيـًا أو ميتـًا.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن الله تعالىٰ مدح الموفين بالنذر فدل علىٰ أنه عبادة، وهكذا دل الحديث بالأمر بالوفاء علىٰ أنه عبادة، فإن المدح والأمر ونحو ذلك من الأدلة علىٰ كون الممدوح والمأمور به عبادة، (وما ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله تعالىٰ شرك أكبر).

٣- وجوب الوفاء بالنذر إذا كان في طاعة، وحرمة الوفاء بالنذر إذا كان في معصية، وتشتد الحرمة إذا كان شركـًا.



١٣- بابٌ منَ الشِّركِ الاستعاذةُ بغيرِ اللّهِ تعالى

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾

[سورة الجن:٦].

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»، رواه مسلم (٢٧٠٨).

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن من أنواع الشرك الأكبر: الاستعاذة واللجوء إلىٰ غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ، سواء كان هذا الغير نبيـًا أو وليـًا أو صالحـًا أو ملكـًا أو مقبوراً أو حيـًا أو غير ذلك، فإن ذلك كله شركٌ مخرجٌ من الملة.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية أن الله ذم المشركين الذين كان من جملة شركهم الاستعاذة بالجن، وأن ذلك لا يزيد الإنس إلا ذُلًّا وضرراً وتسلطـًا عليهم من قِبَل الجن.

والشاهد من الحديث: الأمر بالاستعاذة بصفة الكلام لله تعالىٰ دل علىٰ أن الاستعاذة عبادة وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك أكبر.

٣- الاستعاذة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه جائز، كأن يقول لشخص: أعوذ بك من ولدك.

٤- من قال: (أعوذ بالله وفلان) فهو شركٌ لفظي، فإن كان فيما يقدر عليه فهو أشرك أصغر لفظي، وإن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ فهو شرك أكبر.



١٤- بابٌ منَ الشركِ أن يستغيثَ بغيرِ اللهِ أو يدعو غيرَه

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦-١٠٧] الآية.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل:٦٢] الآية.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأحقاف:٥].

الاستغاثة: طلب الغوث - وهو إزالة الشدة - بالدعاء حال الكرب.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن من الشرك الأكبر: الاستغاثة بغير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ، سواء كان المستغاث به حيًا أو ميتًا، صالحًا أو فاسقًا، أو غير ذلك.

وهكذا دعاء غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ شرك أكبر.

والدعاء عام يشمل الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة ونحوها، وإنما خصها

المؤلف لكون عبدة القبور والأولياء ونحوهم يدعون غير الله تعالىٰ في الشدة والرخاء، ففاقوا بذلك مشركي الجاهلية.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذمُّ من دعا غير الله تعالىٰ ووصفه بالظلم والضلال والشرك، لأن الدعاء عبادة، فمن صرفها لغير فهو واقعٌ في الشرك الأكبر.

٣- دعاء المخلوق الحي الحاضر والاستغاثة به فيما يقدر عليه مثله جائز، أما الميت والغائب فدعاؤه شرك، لأنه لا يقدر علىٰ شيء.



١٥- بابُ قول اللهِ تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [سورة الأعراف:١٩١-١٩٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، (خ ٢٧٥٣)، (م ٢٠٦).

التعليق

١- هذا الباب ذكره المصنف إتمامًا لما قبله وبيانًا أن المشركين تعلقوا في دعائهم بمن لا يملك لهم نفعًا ولا ضراً، ولا دفعًا ولا نصراً، بل لا يملك ذلك لنفسه، وإذا كان الرسول ﷺ لا يملك لأقرب قريب ولا يغني عنه شيئًا فمَن دونه من باب أولىٰ، وهذا برهان واضح وحجة دامغة علىٰ المشركين وعبدة القبور والأولياء...

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** ظاهرة في وصف المدعوين بالنقص الذي يليق بالمخلوق، وما كان كذلك فلا يجوز أن يدعىٰ ويُعبد مع الله تعالىٰ أو من دونه.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يعتذر لأقرب الناس، ويبين أنه ليس له صفات الخالق شيء.

٣- التوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره من العلوم، ومن ذلك بيان كمال الله تعالىٰ وأنه المستحق للعبادة، وبيان نقص الآلهة الأخرىٰ وأنها لا تستحق العبادة.



١٦- بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبأ:٢٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنهُ سِّلْسِلَةٍ عَلَىٰ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبأ:٢٣]...» الحديث. (خ ٤٧٠١).

﴿فُزِّعَ﴾ زال الفزع بعد أن حصل لهم بسبب سماع كلامه سبحانه تعظيمًا له وخوفًا منه تعالىٰ.

التعليق

١- عقد المصنف هذا الباب بعد الأبواب السابقة التي ردَّ فيها علىٰ من دعا وتعلق بغير الله تعالىٰ ، وهذا الباب في الرد علىٰ من عبد الملائكة، فإن الملائكة تخاف الله تعالىٰ وتخشاه حق خشيته، ولا تملك لنفسها شيئًا، فكيف تُدعىٰ من دون الله تعالىٰ وكيف تُعبد؟ بل كيف يُعبد من هو دون ذلك من المقبورين والجن وغيرهم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذِكْر عظمة الله تعالىٰ وكبريائه التي تضمحل عندها عظمة المخلوق، وخضوع الملائكة مع عظمتها حتىٰ يغشىٰ عليها من خشية الله سبحانه، وهذا ردٌّ علىٰ المشركين كيف يشركون بالله العظيم سبحانه المخلوق الضعيف.

٣- الفرار إلىٰ الله تعالىٰ عند الخوف منه، فإن الملائكة إذا سمعت كلام الرب سبحانه خرَّت سُجَّداً طلبًا لرضاه وإجلالاً له.



١٧- بابُ الشَّفاعة

وقول تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [سورة الأنعام:٥١]، وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر:٤٤].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، (خ ٩٩).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

التعليق

١- هذا الباب فيه بيان الرد علىٰ المشركين الذين يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة بحجة التوسل إليهم ليشفعوا لهم عند الله تعالىٰ في جلب المنافع الدنيوية ودفع المضار، وليشفعوا لهم في الآخرة، فردَّ الله تعالىٰ عليهم أن طلب الشفاعة مع الشرك غلطٌ محض، فالشرك مانعٌ منها، والمشرك ممنوعٌ منها، وإنما الشفاعة من خصائص الموحدين المخلصين لله في دعائهم وعبادتهم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أنه لا شفيع عند الله تعالىٰ إلا بإذنه، ولا يأذن إلا للمخلصين، ومن طلبها من غيره سبحانه فقد طلبها من غير مالكها ومعطيها،

فلو عقل هذا عبدة الأصنام والقبور وغيرهم لما أشركوا بالله تعالىٰ.

٣- الشفاعة هي الدعاء، دعاء الشافع إلىٰ الله تعالىٰ لجلب نفع أو دفع ضر، والدعاء عبادة خالصة لله تعالىٰ لا يرضىٰ أن يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل.



١٨- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القصص:٥٦].

في الصحيح عن ابن المسيب عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ: «يا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا عليه، فكان آخر ما قال: هو عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فقال النبي ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القصص:٥٦]»، (خ ١٣٦٠)، (م ٢٤).

التعليق

١- هذا الباب أورده المصنف بعد الأبواب السابقة -وهو كالباب الخامس عشر- للردِّ علىٰ عُبَّاد الأنبياء والقبور الذين يرجون ممن عبدوه جلب نفع ودفع ضر، فها هو الرسول ﷺ أشرف الخلق لا يقدر علىٰ هداية عمه مع حرصه

الشديد عليه، بل الأمر كله لله تعالىٰ، فبطلت عبادة غير الله تعالىٰ، لأن أشرف الخلق لا يملك نفعًا ولا ضراً، فغيره من باب أولىٰ.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** واضحٌ في أن النبي ﷺ لا يهدي من أحب - هداية التوفيق والإيمان - بل الأمر كله لله تعالىٰ، فمع حرصه ﷺ علىٰ عمه إلا أنه مات كافراً، ولم ينفعه استغفاره، لأنه لا مغفرة لمشرك، سواء عبد الأصنام أو عبد الأنبياء أو القبور ...

٣- البراءة من الشرك وأهله ولو كان من أقرب الناس.



١٩- بابُ ما جاءَ أنَّ سببَ كفرِ بَنِي آدمَ وتَركُهم دينَهُم هو الغُلُوُ فِي الصَّالِحِينَ

وقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [سورة المائدة:٧٧].

وفي الصحيح عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة نوح:٢٣] قال: «هذا أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا ، أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ: أَنْ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ ونُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ »، (خ ٤٩٢٠).

التعليق

١- هذا الباب في بيان كيف وقع أول شرك في الأرض، فإنه كان بسبب الغلو في الصالحين حتىٰ عبدوهم مع الله تعالىٰ، كما وقع لقوم نوح ولمن بعدهم، ومن نظر في شرك الأمم وجده من هذا الباب، وهو الغلو في الكبار والزعماء أو العلماء والأنبياء، حتىٰ يصل الأمر إلىٰ الكفر البواح، وهذا السبب هو الذي غرق فيه عبدة القبور ونسجوا منه الشباك لاصطياد الناس وجمعهم حول الشرك والوثنية تحت شعار هذا صالح له منزلة عظيمة ويفعل كذا وكذا وينفع ويضر ...

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية النهي عن الغلو، فإن شرك أهل الكتاب -أكثره- كان عن طريق الغلو، وهكذا أثر ابن عباس واضح في أن غلو الناس قبل زمن نوح أوصلهم إلىٰ الشرك، ثم بعث فيهم نوح فعاندوا بشبهٍ فترىٰ عبدة القبور يرددونها.

٣- الشرك ملة واحدة وإن اختلفت حجج أصحابه وشبهاتهم أو اتفقت، فإن غايته: عبادة غير الله تعالىٰ.

٤- أن الأصنام رموز لرجال صالحين، كما أن القباب والمشاهد كذلك ومؤداها جميعًا واحد هو الوثنية والشرك.



٢٠- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ كَنِيْسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ؛ وَمَا فِيْهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيْهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيْهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»، (خ ٤٢٧)، (م ٥٢٨).

التعليق

١- هذا الباب رديف للباب قبله -وبعده- في التحذير من فتنة القبور واتخاذها أماكن للعبادة ولو كان قصد العابد وجه الله تعالىٰ، فإن ذلك وسيلة للشرك وإحياء لمحله، كما سبق في الباب (١١).

وما يفعل عند القبور من العبادة نوعان:

الأول: مشروع، وهو الدعاء لأهلها بما ورد، والصلاة علىٰ الميت ممن لم يصل عليه قبل دفنه ...

والثاني: ممنوع، وهو قسمان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك، كالصلاة أو الذبح لله عندها وبناء القباب عليها وإسراجها ونحو ذلك.

والآخر: شركٌ أكبر كالذبح لها ودعائها والنذر لها، وطلب الشفاعة منها، ونحو ذلك، وهذا أشد من الأول.

٢- **مناسبة الأدلة للباب:** أن ضلال أهل الكتاب - لعنهم الله تعالىٰ- بنوا المساجد علىٰ القبور وعبدوا الله في تلك المساجد، فلم يلبثوا أن عبدوا القبور وأشركوا بالله سبحانه، وعلىٰ منوالهم سار عبدة القبور.

٣- تحريم وبطلان الصلاة في المساجد التي فيها قبور، لأن ذلك ذريعة لعبادتها.



٢١- بَابُ مَا جَاءَ أنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَىٰ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، «الموطأ» (٤٤٦) وصححه الألباني.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النجم:١٩] قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيْقَ؛ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ».

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من الغلو ومجاوزة الحد في قبور الصالحين بالبناء عليها، أو التردد إليها، أو عبادة الله تعالىٰ عندها، وأعظم من ذلك صرف العبادة لها، فالأول غلو ووسيلة للشرك، والثاني شرك وتنديد، فالغلو يجعل الغلاة يتخذونها أوثانًا ومعبودة ويصرفون لها العبادة، فالواجب قطع أسباب الغلو ووسائل الشرك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** دعاء النبي ﷺ أن لا يُجعل قبره وثنًا يُعبد كما حصل من اليهود والنصارىٰ مع أنبيائهم حتىٰ عبدوهم، وقد استجاب الله تعالىٰ

له ولم يقدر عبدة القبور علىٰ جعله وثنًا، ولو كان الغلو في القبور فيه خير لما دعا الرسول بهذا الدعاء.

٣- الحق وسط بين الغلو والتفريط، فالقبور تُحترم ولا يبنىٰ عليها ولا يُغلىٰ فيها.



٢٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صلاتكم تبلغني حَيْثُ كُنْتُمْ»، رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وصححه الألباني.

التعليق

١- هذا الباب في بيان ما كان عليه نبينا ﷺ من حماية التوحيد والذب عنه، وقطع الوسائل المؤدية إلىٰ القدح في التوحيد والموصلة إلىٰ الشرك من الأقوال والأفعال والنيات، فسدُّ كل طريق وقول وفعل واعتقاد يناقض التوحيد أمر واجب علىٰ كل مسلم.

فما ظنك بمن يسعىٰ إلىٰ فتح وسائل الشرك ونشر أسبابه كعبدة القبور من الصوفية والشيعة وغيرهم؟!.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** قوله: «لا تجعلوا قبري عيداً» أي: موسمًا تترددون عنده، فإن هذا يؤدي إلىٰ الشرك به، فنهىٰ عن ذلك حسمًا لمادة الشرك

وقطعًا لأسبابه.

٣- التوحيد دين صافٍ لا يقبل الشرك ولا أسبابه، فمن ظن الجمع بينهما فقد أراد الجمع بين النقيضين.



٢٣- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [سورة النساء:٥١].

روىٰ البَرْقَانِيُّ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّيْنَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ؛ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِيْنَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُوْنُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُوْنَ ثَلَاثُوْنَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُوْرَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ». [أخرجه أبو داود (٤٢٥٣)، وصححه الألباني].

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من الشرك والرد علىٰ القبوريين الذين زعموا أن الشرك الأكبر لا يقع من هذه الأمة وقصدهم من ذلك نفي وصف الشرك عن عبادة القبور والأولياء، وإنما هو توسُّلٌ غير شركي، وهذا مردود عليهم بتصريح النبي ﷺ أن بعض هذه الأمة ستعبد الأوثان من صنم وقبر وشجر وحجر وغير

ذلك، وأنهم لا ينفعهم التسمي بالإسلام وقد أشركوا بالله تعالىٰ وعبدوا غيره.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن أهل الكتاب عادوا إلىٰ عبادة الشيطان بعد عصر رسلهم وستفعل فئام من هذه الأمة فعلهم، وأما الحديث فقد صرح بأن أناسًا سيلحقون بالمشركين ويرتدون عن الإسلام، وفئام أخرىٰ تعبد الأوثان وتتسمىٰ بالإسلام ولا ينفعهم ذلك.

٣- أهل البدع هم دعاة الشر، كما أن الصوفية والشيعة ملجأ لكل عدو للإسلام وهم حماة وسائل الشرك وبعضهم من دعاة الوثنية.



٢٤- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»، (خ ٢٧٦٧)، (م ٨٩).

الموبقات: المهلكات.

عَنْ بَجَالَة بْنِ عَبَدَةَ؛ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ. رواه أحمد (١/ ١٩٠).

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن السحر ينافي التوحيد منافاة تامة، وقد وقعٌ في هذه الأمة من قبل المنافقين قبل عهد عمر و بعده إلىٰ يومنا هذا، وهذا ردٌّ علىٰ القبورية كالباب السابق.

والسحر: عبارة عن طلاسم ورقىٰ قد تضر المسحور عن طريق الشيطان، ولا يكون شيء إلا بإذن الله تعالىٰ.

ولا يتمكن الساحر من ممارسة السحر حتىٰ يكفر من عدة وجوه.

والسحر ينقسم إلىٰ قسمين:

١) سحر تأثير. ٢) سحر تخييل. وكلاهما كفر.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** في بيان كفر السحرة، وأنها من الكبائر والشرك، وقتل الساحر ردة، فإن تاب قُتل حداً.

٣- كما أن السحر كفر، فالتحذير من السحرة وأعمالهم من واجبات التوحيد، وإقامة الحد عليهم من أعظم حماية جناب الدين.



٢٥- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٠٥)، وَإِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيْمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٠٦).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»، (خ ٥١٤٦).

التعليق

١- هذا الباب في بيان بعض أنواع السحر التي تكون بغير استخدام الشيطان وهي التنجيم، وهو الاستدلال بحركات النجوم علىٰ حوادث الأرض وهي كفر وشرك لما فيها من دعوىٰ علم الغيب وزعمه أن النجوم لها تأثير في الأرض.

والعَضْهُ: السحر، يعني: أن النميمة تفسد كما يفسد السحر أو نحوه من التفريق بين المتفقين وزرع العداوة وهي من كبائر الذنوب.

والبيان الذي يؤثر في النفوس يشبه السحر، والمراد ذمه إذا كان لغير فائدة صحيحة.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** تسمية هذه الأمور سحراً وأنها محرمة.

٣- لا يلزم من الاشتراك في الأسماء الاشتراك في الحكم، فقد يتفق الحكم كما في السحر والتنجيم، وقد يختلف كما في البقية.



٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا»، (م ٢٢٣٠).

وَعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ »، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٩٠٤).

الكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات باستخدام الجن.

العراف نحوه، وقيل: الذي يدعي معرفة مكان الضالة بمقدمات وتكهن.

التعليق

١- هذا الباب في بيان حكم الكهانة ونحوها مما يقوم علىٰ الشرك وعبادة الجن وغيرهم واستخدام الشياطين، وأنه محرم ينافي التوحيد، وصاحبه مشركٌ الشرك الأكبر، ومن أتاهم مصدقًا لما يدعونه من علم الغيب فهو كافر، ومن أتاهم غير مصدق فذلك كفر أصغر.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذِكْر تحريم الذهاب إلىٰ الكهان وكفر فاعله، ومن باب أولىٰ كفر الكاهن والعرَّاف وكفرهم بحسب ما يقوم بهم إما كفر

أصغر أو كفر أكبر، كما سبق.

٣- لا يعلم الغيب إلا الله، فكل من ادعىٰ علم الغيب فهو كافر، ومن صدقه فقد صدَّق بالكفر المنافي للتوحيد والقرآن والسنة.



٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، رَوَاهُ أبو داود بِسَنَدٍ جَيِّدٍ (٣٨٦٨)، وصححه الألباني.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: «النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحرِ عَنِ المَسْحُوْرِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِيْ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنْتَشَرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُوْرِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن النشرة المنهي عنها نوعٌ من السحر، وأن فيها من الكفر والشرك ما فيها مما سبق بيانه، وهو بهذا ينافي التوحيد ويضاده، فوجب اجتنابه والتحذير منه.

٢- **مناسبة الأدلة للباب** ظاهرة في أن النشرة من عمل الشيطان والسحر.

٣- التداوي بالأدوية المحرمة فيه من المفاسد أضعاف ما فيه من المصلحة إن وُجِدت.



٢٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٣١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ»، أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ»، (خ ٥٧٥٧)، (م ٢٢٢٠).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ، وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩١٠) وَالتِّرْمِذِيُّ (٥/ ٣٣٦)، وَصَحَّحَهُ، وَجُعِلَ آخِرُهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن التطير - وهو التشاؤم بمرئي أو مسموع - ينافي التوحيد، فإن اعتقد أن المتطير به له تأثير في دفع ضرٍّ أو جلب نفع فهذا شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك فقد وقع في الشرك الأصغر.

وحد التشاؤم الشركي ما ورد في الحديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد

أشرك»، رواه أحمد (٧٠٠٥)، وصححه الألباني.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية أن التطير من صفات المشركين أعداء الرسل، وفي الأحاديث نفي الطيرة وأنها لا حقيقة لها، إنما هي ظنون ووساوس ووصفها بالشرك.

٣- التطير ينتج عن: الجهل بالتوحيد، وضعف التوكل، والتعلق بالخيالات، وعلاجه كما في الحديث أن يقول: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».



٢٩- بابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

عَنْ أَبِي مُوْسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٩٠٧٥) وفيه ضعف.

قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ فِي صَحِيْحِهِ (كتاب بدء الخلق): «قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُوْمَ لِثَلَاثٍ؛ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوْمًا لِلشَّيَاطِيْنِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ».

التعليق

١- هذا الباب في حكم التنجيم وأنه محرم ينافي التوحيد، لما فيه من اعتقاد خالق أو مدبر في الكون غير الله تعالىٰ ودعوىٰ علم الغيب، وهذا شرك أكبر. وراجع الباب (٢٥).

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذم مصدِّق السحر، والتنجيم من السحر، كما سبق، وهذا الحديث ضعيف، والحديث السابق (باب/ ٢٥) كان أنسب.

٣- لا يدخل في التنجيم ما ذكره قتادة، لأن ذلك مباح غير مشتمل لشرك، فإذا اشتمل علىٰ الشرك والمخالفات صار مذمومًا.

٣٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الواقعة:٨٢].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه ؛ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُوْنَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»، (خ ٨٤٦)، (م ٧١).

التعليق

١- هذا الباب في بيان حكم الاستسقاء بالأنواء - أي: طلب السقيا بالنجوم أو من النجوم - وهو لا يخلو من أن يكون المستسقي يعتقد أن النوء هو الذي ينزل المطر، وهذا شرك أكبر، أو يكون معتقداً أنها سبب لنزوله، وهذا خرافة، فليست بسبب شرعًا ولا كونًا، فالأول ينافي التوحيد تمامًا، والثاني ينافي كمال التوحيد الواجب.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن نسبة النعمة إلىٰ غير الله كذب وعمل لأهل الجاهلية مذموم يجب اجتنابه، ووصفه في الحديث بالكفر.

٣- توقع نزول المطر في مواسم معينة كالصيف والخريف لا ينافي التوحيد إذا اعتقد العبد أن ذلك يكون بمشيئة الله تعالىٰ وتدبيره.



٣١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة:١٦٥]

وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [سورة التوبة:٢٤].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »، (خ١٦)(م٤٣).

(الند) المثيل والنظير.

(كسادها) بوارها.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن محبة العبودية المستلزمة للخضوع والتذلل عبادة لا تصلح إلا لله تعالىٰ، فمن صرفها لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر، والمحبة تنقسم

إلىٰ: محبة عبادة، ومحبة طبيعية كحب الأولاد... ومحبة شركية: وهي حب غير الله تعالىٰ كحب الله تعالىٰ محبة عبادة.

٢- **المناسبة بين الأدلة والترجمة:** في آية التوبة أن محبة ما ذُكِر إذا فضلت علىٰ محبة الله تعالىٰ صارت سببًا للعقوبة، وأنها من كبار الذنوب، وهذه محبة معصية.

وفي الحديث أن كمال الإيمان الواجب لا يتم إلا بتقديم محبة الله تعالىٰ علىٰ كل محبوب وأن محبة دينه ورسوله من محبة الله تعالىٰ. فظهر أن حب غير الله تعالىٰ يكون شركًا ويكون معصية ويكون مباحًا، كل واحدٍ بحسبه ونوعه.

٣- من لوازم محبة الله تعالىٰ محبة أوليائه والصالحين وكل ما يحبه الله تعالىٰ، وكذلك الولاء لله والبغض لله، ومنه البراءة من الشرك وأهله.



٣٢- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]

وَقَوْله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٨].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ التَمَسَ رِضَىٰ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ (٢٧٦) وصححه الألباني.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن خوف العبادة - وهو التقرب إلىٰ الله بترك المحرمات خوفًا منه ومن عذابه- عبادة لا تصلح لغير الله تعالىٰ، فمن صرفها لغير الله تعالىٰ فقد أشرك الشرك الأكبر، وحدُّه: أن يخاف من غير الله تعالىٰ كخوفه من الله تعالىٰ أو أشد خوف تأله وتذلل وخضوع.

وهو شركٌ في الألوهية، فإذا انضم إليه اعتقاد أن غير الله تعالىٰ يضر بذاته أو مع الله تعالىٰ وخافه لأجل ذلك فهو شركٌ في الربوبية أيضـًا.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن من خاف غير الله تعالىٰ فقد وقع في المحرم، فإن كان عبادة فهو شرك أكبر، وإن كان خوفًا غير عبادة فهو من الكبائر، ولا يدخل في ذلك الخوف الطبيعي.

وفي آية التوبة أن المؤمن يخشىٰ الله تعالىٰ ، والخشية: الخوف مع إجلال وتعظيم ومعرفة أكثر.

وفي الحديث بيان أن من ضعف الإيمان إرضاء الناس بسخط الله تعالىٰ، وذلك ناتجٌ عن قلة إجلال لله سبحانه، وهو من الكبائر.

٣- من لوازم الخوف من الله تعالىٰ ترك المحرمات، والحرص علىٰ الواجبات، وذلك هو الخوف المحمود، واليأس خوفٌ مذموم.



٣٣- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٣]

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

وعَنْ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ، قالَهَا إِبْرَاهِيْمُ عليه السلام حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِيْنَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، (خ ٤٥٦٣).

التعليق

١- هذا الباب يتحدث - كاللذين قبله - عن عبادة القلب ومنها التوكل، وهو: اعتماد القلب علىٰ الله عز وجل في جلب نفع أو دفع ضر مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها.

فالتوكل عبادة، من صرفها لغير الله تعالىٰ فقد أشرك،

كالتوكل علىٰ الأموات وغيرهم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أنه سبحانه جعل التوكل ركنًا في الإيمان، وأثنىٰ علىٰ المتوكلين ووعدهم بالكفاية.

وفي الحديث ما كان عليه الأنبياء من قوة التوكل... كل هذا يدل علىٰ أن التوكل عبادة لله وحده.

٣- الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل مع الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ، أما الاعتماد علىٰ الأسباب فهو ينافي التوكل، فنفي الأسباب بدعة منكرة، والاعتماد عليها شرك ومضرة.



٣٤- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٩]

وَقَوْله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الحجر:٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاَللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»، رواه الطبراني (١٢/ ٢٥٢)، وحسنه الألباني.

القنوط: استبعاد رحمة الله تعالىٰ ، وسوء الظن بعفوه وعطائه.

والأمن: استبعاد عذاب الله تعالىٰ والأمن منه.

التعليق

١- هذا الباب بيان لأعمال قلبية تنافي التوحيد وهي الأمن من مكر الله تعالىٰ واليأس من رحمته، فكلاهما سوء ظن بالله تعالىٰ وبرحمته وقدرته، وهذا ذنب عظيم، وأصل الشرك سوء الظن بالله تعالىٰ كما سيأتي، والواجب علىٰ المؤمن الجمع بين الخوف من الله تعالىٰ وبين الرجاء والطمع في رحمته، فكلاهما من واجبات التوحيد لا يتم إلا بذلك، وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** الأولىٰ في التحذير من الأمن من مكر الله تعالىٰ ، وأنه طريق الخاسرين، والثانية في التحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله تعالىٰ وأنه سبيل الضالين، والحديث مبيِّنٌ أن ذلك من عظام الذنوب، وقرنها بالشرك لمنافاتها جميعًا للتوحيد.

٣- من جعل خوفه ورجاءه لغير الله تعالىٰ فهو شرٌّ ممن وقع في القنوط واليأس أو الأمن من مكر الله تعالىٰ، لأن ذلك - الخوف - شرك أكبر.



٣٥- بَابُ مِنَ الإِيمَان باللهِ الصَّبْرُ عَلَى أقدَارِ اللهِ

وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة التغابن:١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ المُصِيْبَةُ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَرْفُوْعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُوْدَ، وَشَقَّ الجُيُوْبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ»، (خ ١٢٩٤)، (١٠٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، رواه التِّرْمِذِيُّ (٢٣٩٦) عن أنس رضي الله عنه.

التعليق

١- هذا الباب في بيان عبادة قلبية وهي الصبر علىٰ أقدار الله تعالىٰ المؤلمة، كموت قريب أو فقر ونحوه، وأن الصبر من واجبات التوحيد ومتمماته، كما أن التسخط من مضادات التوحيد ومنافٍ له، لأنه تسخط علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ قدره وحكمته وسوء ظن به سبحانه، كما أن قلة الصبر تحمل علىٰ الالتفات إلىٰ غير الله تعالىٰ.

٢- مناسبة الأدلة للترجمة: في الآية ذكر المصائب وأن الصبر عليها من الإيمان والهدىٰ، وفي حديث ابن مسعود ذكر ما يناقض الصبر، وينافيه من النياحة وهي من الكبائر .

وحديث أنس ظاهر في المناسبة وأن السخط لا يزيد صاحبه إلا شرًا.

٣- الدين كله صبر: صبرٌ علىٰ توحيد الله تعالىٰ وطاعته بتعلمه والعمل به والدوام فيه والدعوة إليه، وصبرٌ عن الشرك والمعصية والبدعة بمجانبتها والتحذير منها، وصبرٌ علىٰ أقدار الله تعالىٰ المؤلمة وعدم التسخط عند نزولها.



٣٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيْهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، (م ٢٩٨٥).

التعليق

١- عقد المؤلف هذا الباب لبيان عملٍ قلبي ينافي التوحيد أو كمال التوحيد، وهو الرياء والسمعة ونحو ذلك، وهو أن يقصد العبد بعبادته غير الله تعالىٰ، وهذا شرك، وهو مراتب:

الأولى: رياء المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

والثانية: الرياء الخالص من المسلم، وهو أن يعمل العمل ويقصد به غير وجه الله تعالىٰ ، وهذا شرك، وقد يصل إلىٰ الشرك الأكبر إذا صحبه تعظيم غير الله تعالىٰ كتعظيم الله تعالىٰ أو أشد.

والثالثة: أن يطرأ الرياء علىٰ العبادة ففيه من الشرك بقدره، فإن جاهد نفسه

علىٰ دفعه فذلك هو الإخلاص، والواجب علىٰ المسلم أن يكون عمله خالصًا لوجه الله تعالىٰ موافقًا لشرعه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية الأمر بالعمل الصالح وهو الخالص لله تعالىٰ الموافق لشرعه الخالي من الشرك والبدعة، والمناسبة في الحديث ظاهرة في كون الشرك في العمل والنية يحبطه ولا يقبله الله تعالىٰ، ومن ذلك الرياء أو يسير الرياء.

٣- الإخلاص: هو أن يقصد العبد بعبادته وجه الله تعالىٰ، وأصل الإخلاص هو مجاهدة النفس علىٰ دفع الرياء والسمعة ونحو ذلك.



٣٧- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة هود:١٥].

وَفِي الصَّحَيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ. طُوْبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ؛ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»، (خ ٢٨٨٧).

(تعس) سقط وخاب وشقي.

(الخميصة والخميلة) ثياب كانت تُلبس إلىٰ قريب.

التعليق

١- هذا الباب يبين عملاً قلبيًا ينافي التوحيد، وهو أن يقصد العبد بعمله الدنيا من مال أو جاه ونحو ذلك، والقول فيه كالكلام علىٰ الرياء تمامًا، والله أعلم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية بيان أن من أراد بعمله الدنيا أن عمله قد حبط وجزاؤه النار.

وفي الحديث ذم من أراد بعمله الدنيا ومَدْحٌ للمخلص، وهذا كله دلالة علىٰ وجوب الإخلاص لله تعالىٰ.

٣- من عمل العبادة لله تعالىٰ وكان الباعث له هو ابتغاء وجهه سبحانه وأراد الدنيا علىٰ سبيل التبع لا الأصل فهذا جائز، والله أعلم بالنيات، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ۝٣﴾ [سورة الطلاق:٢-٣].

وحديث: «من قتل قتيلاً فله سلبه»، متفق عليه... والله أعلم.



٣٨- بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ أَحْمَدُ بن حنبل: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ وَيَذْهَبُونَ إِلَىٰ رَأْيِ سُفْيَانَ!! وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُوْلُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [سورة النور:٦٣]، أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ».

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣١] الآية. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم». رَوَاهُ وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٩٥) وَحَسَّنَهُ.

التعليق

١- هذا الباب في بيان نوعٍ من أنواع الشرك المنافي للتوحيد وهو تشريع ما لم يأذن به الله تعالىٰ وطاعة من يصنع ذلك، إذ أن التشريع حقٌّ لله تعالىٰ وحده، والطاعة المطلقة هي لله وحده.

واتخاذ العلماء والأحبار شركاء وأربابـًا علىٰ قسمين:

الأول: اتباعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، مع العلم أنهم بدَّلوا وغيَّروا وخالفوا شرع الله، فهذا كفرٌ أكبر من التابع والمتبوع إذا اعتقدوا تحليل الحرام وتحريم الحلال...

والثاني: أن لا يعتقدوا ذلك، بل يحرمون الحرام ويحللون الحلال لكنهم يتبعون من يحلل الحرام ويحرم الحلال، فهذا كفرٌ أصغر إذا أطاعوه في ذلك.

أما من اعتقد تحليل الحرام أو العكس بعد بلوغ الحجة ولو لم يعمل ولم يطع غيره في ذلك بل مجرد اعتقاد فهذا -أيضـًا- كفرٌ برأسه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** في كلام أحمد: أنه لا يجوز مصادمة الأدلة بالرأي، وأن ذلك من الفتنة ووسائل الشرك.

وأما حديث عدي فهو صريحٌ في ذلك، فالعبادة ليست مقصورة علىٰ الصلاة والذبح ونحوها كما ظن عدي رضي الله عنه، بل منها طاعة الله تعالىٰ ورسوله فيما شرع، واعتقاد أن التشريع حقٌّ لله تعالىٰ وحده ولرسوله تبعـًا لربه سبحانه، ومخالفة ذلك شركٌ في الألوهية والربوبية.

٣- من الشرك -أيضـًا- الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، لأنه في الحقيقة اتباع لمن شرع أحكامـًا غير حكم الله تعالىٰ، وسيأتي في الباب القادم.



٣٩- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء:٦٠] الآيات.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُوْنَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) وفيه مقال.

التعليق

١- هذا الباب كالذي قبله في ذكر لوازم التوحيد وبيان ما ينافيه، فمن لوازمه: التحاكم إلىٰ شرع الله تعالىٰ والحكم به، ومن نواقضه: الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، فهو شركٌ في الربوبية، لأنه اعتقد جواز حكم غير ما أنزل وتشريعه، وشركٌ في الألوهية من جهة تحاكمه إلىٰ غير شرع الله تعالىٰ، وكلاهما كفرٌ أكبر.

أما من تحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله تعالىٰ مع اعتقاده أن ذلك لا يجوز وأنه عاصٍ بفعله ذلك فهذا كفر أصغر.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذم من أراد التحاكم إلىٰ الجاهلية والطواغيت وتوعدهم، ثم بيان أن الواجب الكفر بذلك والإيمان بأن الحكم لله تعالىٰ وحده، فلا أحسن منه حكماً في الحال والمآل والدنيا والآخرة.

٣- الحكم والتحاكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ من أعظم الفساد والإفساد في الأرض في الدين والدنيا، إذ لا صلاح للبشرية إلا بالتوحيد وتحكيم الشرع المجيد، تنزيلٌ من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



٤٠- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [سورة الرعد:٣٠].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيْثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ - اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ -، فَقَالَ: «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُوْنَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُوْنَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!»، رواه عبد الرزاق (٢٠٨٩٥)، وسنده صحيح.

(فَرَق) أخاف.

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن التوحيد لا يصح إلا بالإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته، فمن جحد شيئًا منها فقد أتىٰ بما يناقض التوحيد، ومن تأول شيئًا منها فقد أتىٰ بما ينافي كمال التوحيد الواجب، ولا يتم إيمان عبدٍ حتىٰ يؤمن بأقسام التوحيد كلها ويعمل بمقتضاها، ولذلك ذكر المؤلف ما يناقض توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ثم ثلَّث بما يناقض توحيد الأسماء والصفات.

٢- **المناسبة بين الأدلة والترجمة:** أن من أنكر اسم الله الرحمن فقد كفر

بالله تعالىٰ، وهذا الحكم في سائر الأسماء والصفات.

وأثر ابن عباس فيه بيان ضلال من يتأول الصفات بحجة تنزيه الله تعالىٰ، والواقع أنه نفيٌ لأسماء الله الحسنىٰ وصفات الكمال العليا.

٣- أن أدلة الأسماء والصفات محكمة واضحة ينبغي أن يحدث الناس بها ليتعرفوا بها علىٰ ربهم وجلاله وكماله.



٤١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [سورة النحل:٨٣] الآية

قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُوْلُوْنَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُوْلُوْنَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِيْ فِيْهِ: «وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» ؛ وَهَذَا كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيْفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ».

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن من التوحيد إضافة النعم إلىٰ الله تعالىٰ، لأنه المنعم بها، فإذا أضافها أحدٌ إلىٰ غير الله تعالىٰ فقد أتىٰ بما ينافي التوحيد ووقع في الكفر، فإن اعتقد أن غير الله هو الموجد للنعمة فهذا كفرٌ أكبر، وإن لم يعتقد ولكن جرىٰ علىٰ لسانه إضافة النعمة إلىٰ غير الله تعالىٰ فهذا كفرٌ أصغر، وكلاهما ينافي توحيد الربوبية.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن من صفات المشركين إضافة النعمة إلىٰ غير الله تعالىٰ، ثم وصفهم بالكفر حيث ختم الآية بقوله: ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ

﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وحديث زيد سبق بيانه.

٣- المخرج من هذه الألفاظ الشركية هو الفصل بـ(ثم) كقول: لولا الله ثم فلان، ونحو ذلك.



٤٢- بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ؛ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُوْلَ: وَاللهِ؛ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ! وَحَيَاتِي! وَتَقُوْلَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوْصُ! وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ؛ لَأَتَى اللُّصُوْصُ!...».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٥٣٥)، وصححه الألباني.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُوْلُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلَكِنْ قُوْلُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٨٠) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

التعليق

١- هذا الباب ذكره المصنف للتحذير من بعض أنواع الشرك التي تنافي التوحيد كالحلف بغير الله تعالىٰ وإشراك غير الله في اللفظ ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقد يكون من الأكبر إذا قام بقلب قائله تعظيم غير الله تعالىٰ

كتعظيم الله تعالىٰ أو أشد، وما أشبه ذلك.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن من الشرك والتنديد الحلف بغير الله تعالىٰ ونحوه من شرك الألفاظ ...

وفي حديث حذيفة بيان للعلاج كما سيأتي في الباب بعده.

٣- أهمية معرفة الألفاظ الشركية حتىٰ يجتنبها العبد ليكون تام التوحيد بعيداً عن الشرك.



٤٣- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (٢١٠١) بِسَنَدٍ حَسَنٍ. [صححه الألباني].

التعليق

١- هذا الباب في الوعيد علىٰ من لم يقنع إذا حُلف له بالله لكونه مما ينافي كمال التوحيد وتعظيم الله عز وجل وربوبيته والرضا بحكمه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** في قوله: « وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ...» الحديث، وهذا ظاهر.

٣- الصدق في اليمين واجب، وهو من تعظيم الله عز وجل، إلا أن الحلف كاذبًا معصية، وأما الحلف بغير الله تعالىٰ صادقًا أو كاذبًا فهو شرك، وأشد منه من لا يرضىٰ بالحلف بالله تعالىٰ ويرضىٰ بالحلف بغير الله تعالىٰ من الأنداد، فهذا شركٌ أكبر.



٤٤- بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ ؛ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وَتَقُوْلُوْنَ: وَالكَعْبَةِ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُوْلُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣٧٧٣) وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»، رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٢٤٥).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من الألفاظ الشركية أيضًا التي فيها التسوية بين الخالق والمخلوق في المشيئة أو غيرها، فإن الواو من معانيها المشاركة، ولذلك كان اللفظ الموافق للتوحيد هو قول (ثم) ما شاء ثم شئت، فإنها تعني التبعية، وأن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله تعالىٰ.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** في حديث قتيلة وصف هذه الألفاظ بالشرك، وفي حديث ابن عباس وصفها بالتنديد وهو تنديد أصغر، أي: شرك أصغر، وقد

يكون أكبر بحسب ما يقوم بقلبه صاحبه، كما تقدم.

٣- قبول الحق والرجوع إليه لا سيما في مسائل العقيدة والسنة، ولا عذر لمن يرد الحق بحجة أن من أتىٰ به غير أهل لذلك.



٤٥- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية:٢٤].

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»، (خ ٤٨٢٦)، (م ٢٢٤٦).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من ألفاظ شركية مما يتعلق بالزمان من سب وذم وانتقاص، وهذه تنافي التوحيد أو كماله، فمن اعتقد أن الدهر هو الفاعل فهذا شركٌ في الربوبية، وإن اعتقد أن الله تعالىٰ هو الفاعل وسبَّ الدهر أي: فاعل الدهر فهذا كفر، وإن لم يعتقد هذا ولا هذا فقد أتىٰ بذنب ينافي كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في الآية اعتقاد المشركين أن الدهر هو الفاعل، وفي الحديث النهي عن سب الدهر للعلة السابقة ، ونحو ذلك سب الريح وما أشبه ذلك.

٣- قوله: « وَأَنَا الدَّهْرُ» الدهر ليس من أسماء الله تعالىٰ، ولكن معناه: أنا مدبر الدهر وخالق الدهر، فسبُّه سبٌّ لخالقه سبحانه.

٤٦- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلَاكِ؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهَ»، (خ ٦٢٠٦)، (م ٢١٤٣).

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ ...

ومعنىٰ (أخنع) أوضع وأحقر وأذل.

التعليق

١- هذا الباب كسابقه في التحذير من ألفاظ شركية تنافي كمال التوحيد كقاضي القضاة، وسلطان السلاطين، وملك الملوك ونحوها مما يقتضي تعظيم المخلوق ووصفه بالكمال الذي لا يكون إلا لله وحده.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** الإنكار والتغليظ علىٰ من تسمىٰ بمثل هذه الألفاظ.

٣- الألفاظ التي تنافي التوحيد أو تنافي كماله محرمة، فالأولىٰ للمسلم البعد عنها، وفي الألفاظ المباحة أو المشروعة غُنية.



٤٧- بَابُ احتِرَامِ أسمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغيِيرِ الِاسمِ لِأجلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ؛ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّىٰ أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي؛ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيْقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٩٥٥).

التعليق

١- هذا الباب لبيان أن من كمال التوحيد أن لا يُسمىٰ أحد بشيء يختص الله جل وعلا به، كما سبق في الباب السابق. والتسمي بذلك ينافي كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** أن التسمي بالحكم علىٰ وجه الاستقلال بالمعنىٰ لا يجوز في حق المخلوق، وهكذا بقية الأسماء مثل (الله، الرحمن، أحكم الحاكمين).

٣- الأسماء التي لا تختص بالله تعالىٰ يجوز التسمي بها إذا لم يقصد المعنىٰ الخاص بالله تعالىٰ مثل: رحيم، رؤوف، كريم، حكم ...



٤٨- بَابُ مَنْ هَزَلَ بشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أو القُرآن أو الرَّسُوْل

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة:٦٥].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُوْنًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ - يَعْنِي: رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ - وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ - فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ؛ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيْثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيْقِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ - وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ -، وَهُوَ يَقُوْلُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُوْلُ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة:٦٥]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيْدُهُ عَلَيْهِ». رواه ابن جرير (١٠/ ١١٩) وغيره، وصححه شيخنا الواداعي في «أسباب النزول».

التعليق

١- هذا الباب في بيان أن التوحيد لا يصح إلا بتعظيم الله تعالىٰ وما جاء به،

فمن هزل بذكر الله تعالىٰ أو كتابه ودينه أو رسله فقد ناقض التوحيد وكفر الكفر الأكبر، سواء كان جاداً أو مازحًا أو غاضبًا ... ويُقتل ردة إلا أن يتوب توبة صادقة، فمن تاب إلىٰ الله تعالىٰ تُرك وأمره إلىٰ الرب سبحانه، إلا ساب الرسول ﷺ فقيل إن تاب يقتل حداً، وإن لم يتب قُتل ردة.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** ظاهر الآية أن الهازل كافر كما في آخر الآية: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة:٦٦]، وكذلك في الحديث حيث لم يقبل عذره وقرأ عليه الآية في كفره.

٣- أن السكوت عند سماع الكفر رضًا به يُعد كفراً حيث كان الكلام من واحد والبقية سمعوا راضين به، فقال الله: (كفرتم) بالجمع لهم جميعًا: المتكلم والراضي.

٤- كل ما أدىٰ إلىٰ الاستهزاء أو التكذيب بالله ورسله ودينه فهو كفر، مثل: تكفير جميع الصحابة أو اتهام بتحريف الدين، فهذا كفر وردة، لأن مؤداه تكذيب الدين والطعن فيه.



٤٩- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [سورة فصلت:٥٠] الآية

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوْقٌ بِهِ».

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [سورة القصص:٧٨]، قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوْهِ المَكَاسِبِ»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ - وذكر قصة الأبرص والأقرع والأعمىٰ - وفيه: أن الأبرص والأقرع لما سئل كل واحد منهم صدقة قال: «إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ» ... (خ ٣٤٦٤)، (م ٢٩٦٤).

التعليق

١- هذا الباب كالباب (٤١) في التحذير من كفران النعمة وعدم شكر المنعم، وأن من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكدِّه وذكائه، أو أنه مستحق لها لما له من الحق علىٰ الله، فإن هذا منافٍ لكمال التوحيد ففيه نوع من الإشراك بالربوبية.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** نسبة النعم إلىٰ نفسه (هذا لي) و (علىٰ علم عندي) و(ورثته كابراً عن كابر) وعدم إضافتها إلىٰ الله سبحانه، وهذا كفر أصغر وقد يكون أكبر بحسب اعتقاد قائله.

٣- الحفاظ علىٰ تعظيم جانب التوحيد ووسائله في السراء والضراء، وأن يعلم العبد أنه دائم الفقر إلىٰ الله تعالىٰ.



٥٠- بَابُ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ [سورة الأعراف:١٩٠]

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ».

وَعَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: «شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»، رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح، (وذكر أثر ابن عباس ولا يصح).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من التعبيد في الأسماء لغير الله تعالىٰ، لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، فلا يجوز التعبيد إلا لله سبحانه في الأسماء وفي العمل والتعبيد لغير الله تعالىٰ شرك أصغر، وقد يكون أكبر بحسب حال صاحبه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة** في تفسير ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي: في التسمي بما فيه تعبيد لغير الله سبحانه، ولا يُستثنىٰ شيء من ذلك، وما ذكره ابن حزم مرجوح، فلا يجوز التسمي بعبد المطلب.

٣- أن الأولاد من نعم الله تعالىٰ، فمن شكر النعمة أن لا تُسْتَخدم في شرك ولا بدعة ولا معصية.



٥١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: يُشْرِكُوْنَ».

وقال: «سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّىٰ مِنَ العَزِيْزِ».

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُوْنَ فِيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

التعليق

١- هذا الباب في إثبات أسماء الله الحسنىٰ وصفاته، وذلك أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما سبق في الباب (٤٠) التي لا يصح التوحيد إلا بها، فمن ألحد فيها فقد أتىٰ بما ينافي التوحيد، وكذلك من التوحيد التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، كما أن التوسل بالأموات والصالحين من الشرك المنافي للتوحيد، وقد ضل في هذا أكثر المشركين.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** في آية الترجمة الأمر بدعاء الله تعالىٰ بأسمائه والتحذير من الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ، والإلحاد فيها ينافي التوحيد.

٣- الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ منه ما ذكره ابن عباس والأعمش.

ومنه: تعطيل الأسماء عن معانيها، وهي الصفات المشتقة منها.

ومنه: تسمية الله تعالىٰ بما لا يليق به، كالقديم والدهر. وانظر للمزيد: القواعد المثلىٰ.



٥٢- بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُوْلُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»، (خ ٨٣٥)، (م ٤٠٢).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من لفظ لا يليق بعظمة الله تعالىٰ وهو (السلام علىٰ الله)، فإنه دعاء للمسلَّم عليه، والله سبحانه غني أن يدعىٰ له، فإنه المدعو جل وعلا، وكل ما سواه فقير إليه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** النهي عن هذا اللفظ، لأن الله هو السلام السالم من كل عيب ونقص، الموصوف بكل كمال وجلال، المسلِّم لعباده من الشرور والآفات، فالسلامة تُسأل منه لا تُسأل له.

٣- المشروع في حق الله تعالىٰ التعظيم، ولذلك أمرهم أن يقولوا بدل اللفظ السابق: «التحيات لله...» أي: التعظيم كله لله...



٥٣- بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ؛ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ». (خ ٦٣٣٩)، (م ٢٦٧٩).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من لفظ ينافي كمال التوحيد وهو قول: (اللهم اغفر لي إن شئت) ونحو ذلك من تعليق الدعاء بالمشيئة، وذلك ينافي التوحيد من وجوه، منها:

- أنه يُشعر بأن الداعي مستغنٍ عن الله تعالىٰ وعن الطلب الذي سأله.

- أنه سوء ظن بالله تعالىٰ إن اعتقد أن الله تعالىٰ يتعاظم سؤاله وطلبه، وهذا باطل، فالله تعالىٰ لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه شيء، فهو الكريم المنان.

الثالث: إن ظن أنه بدعائه مع الجزم يُكرِه اللهَ تعالىٰ علىٰ العطاء، فهذا غير صواب، فالله تعالىٰ لا مكره له.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة وتحريمه وذكر العلة في ذلك، فإذا سمعت من يدعو ثم يقول: إن شاء الله، ونحوها، فحدثه بهذا الحديث.

٣- روح الدعاء: الإلحاح على الله تعالىٰ، وإظهار الرغبة والفقر إليه، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف:٥٥]، وليس دعاء الاستخارة داخلاً في الحديث هذا، فهذا الحديث وارد فيما فيه نفع محقق، ودعاء الاستخارة وارد فيما لا يعلم الداعي نفعه من عدمه من الأمور المستقبلة.



٥٤- بَابُ لَا يَقُوْلُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ؛ وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي؛ وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»، (خ ٢٥٥٢)، (م ٢٢٤٩).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من لفظٍ ينافي كمال التوحيد والأدب، وسبب النهي عنه: أن الإنسان مربوبٌ متعبَّدٌ بإخلاص التوحيد لله وترك الإشراك به، فنُهي عن المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنىٰ الشرك.

وأيضـًا: من باب تعظيم أسماء الله تعالىٰ وربوبيته.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ظاهر الحديث في النهي عن تعبيد المملوك علىٰ وجه الإطلاق والنداء نحو (يا عبدي)، والكراهة للتنزيه، ولا يحرم إلا إذا ترتب عليه مفسدة.

٣- لفظ (رب) و(الرب) عند إطلاقه لا يجوز إلا في حق الله تعالىٰ، أما مضافًا فيجوز في حق غيره لا سيما في غير الإنسان كقول: رب الدار، رب الدابة... أي: مالكها، ونحو ذلك.



٥٥- بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاَللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاَللهِ؛ فَأَعْطُوْهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاَللهِ؛ فَأَعِيْذُوْهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوْهُ؛ وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا فَكَافِئُوْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٧٢) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

التعليق

١- هذا لبيان أدب مع الله تعالىٰ فيه تعظيم لله تعالىٰ، وهو من كمال التوحيد، وفي رد السائل بدون حاجة نقصٌ في كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** قوله: « مَنْ سَأَلَ بِاَللهِ؛ فَأَعْطُوْهُ» حيث أمر بإعطاء من سأل بالله تعالىٰ إعظامًا لله تعالىٰ.

٣- السؤال بالله عند الحاجة جائز، ويكره لغير حاجة، والأولىٰ ترك السؤال إلا لضرورة.



٥٦- بَابُ لَا يُسألُ بوَجهِ اللّهِ إلَّا الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٧١) [وسنده ضعيف].

التعليق

١- هذا الباب كسابقه في تعظيم الله تعالىٰ.

٢- **مناسبة الحديث للترجمة** ظاهر - لو صح -.

٣- السؤال بوجه الله في الحكم كما سبق.



٥٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ (لَو)

وَقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [سورة آل عمران:١٦٨].

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ - لَوْ - تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، (م ٢٦٦٤).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من استعمال لفظ (لو) في معارضة قدر الله تعالىٰ وشرعه، لما فيه من ضعف الإيمان وسوء الأدب مع الله تعالىٰ، وذلك ينافي كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذم المنافقين لاستعمالهم (لو) في معارضة قدر الله تعالىٰ وشرعه.

وفي الحديث: النهي عن استعمال (لو) للتسخط علىٰ قدر الله تعالىٰ وسوء الظن و من يظن أنه لو عمل كذا لما وقع القدر، جهل وهو واقع فيما يقدح في

التوحيد.

٣- يجوز استعمال (لو) في تمني الخير، فهذا مما صح به الدليل كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأحللت» الحديث. فإذا تمنىٰ بها الشر أَثِم.



٥٨- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيْحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيْحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُوْنَ؛ فَقُوْلُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيْحِ وَخَيْرِ مَا فِيْهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيْحِ وَشَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». رواه التِّرْمِذِيُّ (٢٤١٨).

التعليق

١- الكلام علىٰ هذا الباب كالكلام علىٰ سب الدهر، فلا تأثير لها إلا بأمر الله، فسبُّها اعتراض علىٰ من سيَّرها، وهو قدح في كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** النهي عن سب الريح للعلة السابقة، والإرشاد إلىٰ استعمال الأدب في ذلك.

٣- استعمال الأدب في الألفاظ مطلب شرعي.



٥٩- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]

وَقَوْله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة الفتح:٦].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُوْلَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ...».

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من سوء الظن بالله تعالىٰ، وهو أصل من أصول الشرك والبدع والمعاصي، وبهذا ينافي التوحيد، كما أن حسن الظن بالله تعالىٰ واجبٌ عظيم من واجبات التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** بيان أن سوء الظن بالله تعالىٰ من وصف المشركين والمنافقين، وقد ذمهم الله تعالىٰ علىٰ ذلك وتوعدهم بالعذاب ولعنهم وغضب عليهم.

٣- الاعتراض علىٰ أقدار الله تعالىٰ وعبادة غيره ... كل هذا من سوء الظن بالله، فلما ساء ظن المشركين بالله تعالىٰ وظنوا أنه لا يغيثهم لجؤوا إلىٰ اتخاذ الشفعاء وعبدوهم من دون الله سبحانه ...



٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

التعليق

١- هذا الباب لبيان أن إنكار القدر ينافي التوحيد، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالله وربوبيته، فمن أنكره فقد كفر.

ثم منكر القدر إذا أنكر علم الله تعالىٰ وكتابته ومشيئته وخلقه فقد فارق الإسلام، وإن أنكر عموم مشيئته وعموم خلقه بتأويل كحال المعتزلة فكفرٌ أصغر، ومثلهم جبرية الأشاعرة.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** نفي ابنِ عمر الإسلامَ عن منكري القدر، وفي الحديث أنه ركنٌ من أركان الإيمان لا يصح إلا به.

٣- القدر: علم الله تعالىٰ بكل شيء، وكتابة ما هو كائن في اللوح المحفوظ، ومشيئته لذلك، ووقوعه كما شاء خيره وشره، وخلقه لكل شيء.

فهذه مراتب القدر الأربع لا يتم إيمان عبدٌ بالقدر حتىٰ يؤمن بها.

٦١- بَابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً». (خ ٧٥٥٩)، (م ٢١١١).

وعن ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلىٰ الله عليه وسلم- يَقُولُ « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِىٰ النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِىٰ جَهَنَّمَ ». رواه مسلم (٢١١٠).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من تصوير ذوات الأرواح من البشر وغيرهم، لأنه سببٌ من أسباب الشرك ووسيلة إليه، بل هو منشأ الوثنية في قوم نوح ومن بعدهم كما سبق (الباب/ ١٩، ٢٠)، فهو ينافي كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذمُّ المصورين، وأنهم بعملهم هذا يحاولون أن يماثلوا خلق الله تعالىٰ، فهم بذلك من أظلم الظلمة.

وهذا يعمُّ كل مصور كما صرح به أعلم الناس بمراد الله تعالىٰ - أي: نبينا محمد ﷺ - فلا يخرج عنه شيء فيه تصوير لذوات الأرواح، سواء كان نحتًا أو رسمًا أو متحركًا أو عبر انترنت ، ومن زعم جواز المتحرك أو المباشر أو غيره

فقد خالف النص الصريح بتأويلات عصرية لا مقاومة لها أمام نص صاحب الشريعة ﷺ.

٣- التصوير من كبائر الذنوب، وفاعله آثم، ومكسب المصور حرام.

٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»، (خ ٢٠٨٧)، (م ١٦٠٦).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من كثرة الحلف، لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، حيث أن كثرة الحلف تنافي تعظيم الله تعالىٰ، فوجب أن لا يحلف إلا بالله صادقًا، وأن لا يكثر من ذلك، لأنه يفضي إلىٰ عدم المبالاة وقلة التعظيم.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** الأمر بحفظ اليمين إلا عند الحاجة، وفي الحديث ذم كثرة الحلف.

٣- الحلف في الأصل جائز، ثم إذا تعلق بواجب أو مستحب أو محرم أو مكروه فحكمه بحسب ما تعلق به.



٦٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل:٩١].

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيْرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْرًا؛ فَقَالَ: «اُغْزُوَا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيْلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ. اُغْزُوَا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيْدًا ... وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوْكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»، (م ١٧٣١).

التعليق

١- هذا الباب في بيان وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، لأن ذلك من تعظيم الله سبحانه، فالعهد موثقٌ بالله وبالإيمان بالله تعالىٰ، فالإخلال به ناتجٌ من قلة التعظيم وذلك ينافي كمال التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** الأمر بالوفاء بالعهد في السلم والحرب، تعظيماً لله تعالىٰ وإظهاراً لمحاسن الإسلام.

٣- الوجوب في الوفاء بالعهود عام، سواء وُثق العهد بالله تعالىٰ أم لا، لكن نقض العهد الموثق بالله تعالىٰ أشد خطراً، ومن أراد نقض عهد لسبب، فليُعلن بذلك إلىٰ العدو، ولا يحل غدره.



٦٤- بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللّٰهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِيْ يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». (م ٢٦٢١).

التعليق

١- هذا الباب في التحذير من التألي علىٰ الله تعالىٰ إذا كان علىٰ جهة سوء الأدب أو الإلزام بكذا والتطاول، لأنه ناتج من قلة تعظيم الله تعالىٰ، وهو ينافي كمال التوحيد، وربما نافىٰ أصل التوحيد.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ذمُّ من تألىٰ علىٰ الله تعالىٰ وتوعده بعدم مغفرة ذنوبه، لما صنعه من ذنب عظيم وهو التطاول علىٰ رب العزة والجلال بالأحكام الخاصة بالله تعالىٰ.

٣- الإقسام علىٰ الله تعالىٰ إذا كان من باب الدعاء وحسن الظن بالله تعالىٰ فهو جائز، كما في حديث: «لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه».



٦٥- بَابُ لَا يُستَشفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى خَلقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» الحديث. رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وهو ضعيف.

التعليق

١- هذا الباب كالذي قبله ينافي تعظيم الله تعالىٰ، وذلك ينافي كمال التوحيد، فالله أجل من أن يُستشفع به إلىٰ الخلق، وإنما يخوف الخلق بالله وبجلاله وعظمته.

٢- الشاهد من الحديث: النهي عن التوسل بالله تعالىٰ والتشفع به إلىٰ خلقه.

٣- السؤال بالله تعالىٰ من باب التخويف بالله سبحانه لا من باب التشفع به.



٦٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُوْلُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُوْنِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِيْ أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الكبرىٰ» (٦/ ٧١).

التعليق

١- هذا الباب كالذي سبق رقم (٢٢) وقطع وسائل الشرك من واجبات التوحيد كما سبق.

٢- الشاهد من الحديث: النهي عن الاسترسال في التعظيم، فإن الغلو أصل من أصول الشرك.

٣- فيه تواضع الرسول ﷺ، وأن كمال المدح لا يكون بالغلو.



٦٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [سورة الزمر:٦٧] الآية

عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِيْنَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ – تَصْدِيْقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ – ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة الزمر:٦٧]، (خ ٤٨١١)، (م ٢٧٨٦).

التعليق

١- ختم كتاب التوحيد بهذا الباب غاية في المناسبة والفهم، فإن التوحيد تعظيم لله تعالىٰ كما أن الشرك تنقص لله تعالىٰ وجهل بعظمته وجلاله، فإن من عرف عظمة ربوبية الله تعالىٰ أيقن أن الألوهية لا تصلح إلا له عز وجل، وكمال الخضوع والذل والمحبة والانقياد واجبة له سبحانه.

٢- **مناسبة الأدلة للترجمة:** ما ذُكِر فيها من بيان عظمة الله تعالىٰ وكمال قدرته وأسمائه وصفاته.

٣- معرفة عظمة الله تعالىٰ وقدْر الله حق قدره نوعان:

الأول: معرفته كما ورد في كلام الله عز وجل وشرعه، وهذا حاصل للرسل والأنبياء علىٰ وجه الكمال ولأتباعهم كلٌّ بقدر علمه وتقواه وخضوعه وعبوديته.

الثاني: معرفة الله تعالىٰ كما يليق بجلاله وحقيقة عظمته، فهذا لا يعلمه أحد، فالله أجل وأعظم مما بلغه علم العالمون وتعظيم المعظمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه:١١٠]، وكقوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»، فسبحان الله العظيم!

وهذه فائدة نفيسة فافهمه لتعلم أن تقصير العباد في حق الله تعالىٰ حاصل، فاللهم اغفر لنا وارحمنا، لا نحصي ثناءً عليك أنت العظيم كما أثنيت علىٰ نفسك.



خاتمة

تم هذا التعليق ولله الحمد والمنة والفضل والنعمة والثناء الحسن، اللهم لك الحمد علىٰ نعمة الإسلام والسنة، ولك الحمد علىٰ نعمة التوحيد العلم والمعرفة، ما بنا من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فاللهم ارزقنا شكرك وذكرك وحسن عبادتك، وثبتنا علىٰ ذلك حتىٰ نلقاك يا عظيم يا كريم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه العبدُ الفقير إلىٰ الله العظيم/ أبو عبد الله المصنعي

غفر الله له وسدد خطاه وأحسن خاتمته

الفهرس

تم ولله الحمد والمنة